دراسات الأدب المعاصر، السنة الثامنة، صيف ۱۳۹۵، العدد الثلاثون: صص۱۴۱-۱۵۵

رثاء أهل البيت عليهم السلام فی الشعر المعاصر المسيحی اللبنانی

سيد نظام الدين مرتضوی *
عبدالرضا عطاشی **

تاريخ الوصول: ۹۴/۱۰/۱۹
تاريخ القبول: ۹۵/۳/۲۱

الملخص

تقدّم هذه المقالة ظاهرة من أهمّ الظواهر الإنسانية ألا وهی الرثـاء، إن الرثـاء مـن أنـواع الأغراض الشعرية الذی يلتصق بالنوازع الإنسانية والاجتماعية والذاتية و... . فالرثاء اعتنـی به الشعراء منذ القديم، وفی العصر الراهن أيضاً تناول الشعراء رثاء آل البيـت(ع)؛ فمـنهم شعراء لبنان بذلوا جهداً وعنايةً فی نظم الأشعار فی رثاء آل البيت(ع). فنسـعی فـی هـذا المقال أن ندرس موضوع رثاء أهل البيت عليهم السلام فی شعر شعراء لبنان المعاصرين وأن نقدّم نماذج من أشعارهم ونقوم بدراسة الفنون الأدبية والمواضيع التی تطـرّق إليهـا هؤلاء الشعراء فی رثاءهم لأهل البيت عليهم السلام. وسنعتمد فـی دراسـة هـذا الغـرض طريقة التحليل الوصفی وفق المنهج المتكامل.

الكلمات الدليلية: الرثاء، أهل البيت(ع)، الشعر العربی، شعراء لبنان المعاصرين.

* طالب الدكتورا فی فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الاسلامية، فرع آبادان، آبادان، ايران.
n.mortazavi2679@gmail.com
** عضو هيئة التدريس فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الاسلامية، فرع آبادان، آبادان، ايران(أستاذ مساعد).
abdolrezaattashi2014@gmail.com
الكاتب المسؤول: عبدالرضا عطاشی

المقدمة

إنّ الرثاء من أبرز وأقدم أغراض الشعرية ومن الموضوعات البارزة فی الشعر(ضيف، ١٩٨٨: ٥) ويعتبر أصدق أنواع الشعر(عبّود، ١٩٦٠م: ٨١) الذی اعتنی به الشعراء ونظموا فيه أشعاراً لأنّ الرثاء وليد انفعال صادق ومعاناة مؤلمة.

وأهميّة هذا الفنّ الغنائی تكمن فی تصويره للوجدان الفردی وما ينتابه من أحاسيس أمام فاجعة الموت التی تعد من أقدم ما يواجهها الوجود الإنسانی. والشعراء منذ القديم بذلوا اهتماماً خاصاً لهذا الفنّ، وقد نظموا الكثير من القصائد فی رثاء الأقارب والأباعد، كما نظموا المراثی فی رثاء عظماء الدين وكبار العلماء. والرثاء بلا منازع أقدم أغراض الشعر العربی؛ «ويجمع كثير من المؤرّخين أنّ أوّل قصيدة قيلت فی الشعر العربی كانت فی الرثاء»(الجمحی، ١٩٧٤م: ٢٢).

واستمرّ الرثاء مع توالی العصور إلی عصرنا الراهن فنری فی دواوين الشعراء فی العصور المختلفة مراثی كثيرة، وأنها نظمت فی فقدان العزيز، أو سكب الدموع أمام سلطان لينال الشاعر حظوته، ولمراثی أهل البيت عليهم السلام مكانة مرموقة فی الأدب العربی فی العصور المختلفة فلم يكن هناک شاعر سمع أو شاهد مأساة آل البيت(ع) إلاّ وقد نظم فی رثائهم قصيدة، وهذا لا يختصّ شعراء الشيعة فحسب بل تجاوزته إلی آداب غيرهم من أصحاب الأديان والمذاهب الأخری فقد نظموا قصائد صادقة فی رثاء أهل البيت عليهم السلام.

وقد تناول هؤلاء الشعراء فی نظم قصائدهم فی رثاء أهل البيت عليهم السلام مواضيع مختلفة وقاموا بالدفاع عن آل البيت(ع) ووصف مصائبهم والمحن التی واجهها أهل البيت(ع) أثناء حياتهم. لم يتّبع الشعراء فی نظم مراثی أهل البيت(ع) طريقاً واحداً ولكن نتمكّن من خلال دراسة هذه المراثی أن نأتی ببعض الميزات المتبعة فی هذه المراثی. إنّ المراثی تبدأ فی معظمها بذرف الدمع والنواح والندب، ومن ثمّ يذكر الشاعر مناقب أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، وذكر بعض أحاديث من *الرسول(ص)* التی تدلّ علی الخلافة ووصيته فی حبّ آل البيت عليهم السلام، وذمّ أعداء آل البيت(ع)، وذكر المصائب والمحن التی حلّت بهم. فجاءت أكثر مراثی آل البيت عليهم تدلّ علی الندب وتعتبر من الرثاء العاطفی.

وقد تأثّر الشعراء أشدّ التأثير بواقعة الطف وأحداثها وما أصاب *الحسين(ع)* يوم عاشوراء، فنری المراثی التی نظمت فی هذا المجال أكثر من غيرها، وهی تتميّز بحرارتها وإثارتها للعواطف. والأمر الذی يلفت النظر أنّ المراثی التی نظمها الشعراء فی العصور المختلفة فی رثاء الأقارب، وعظماء الدين والحكّام تختصّ بذلک العصر ولكن رثاء أهل البيت عليهم السلام لا يختصّ بعصر دون العصور بل قد اهتمّ الشعراء فی جميع العصور الأدبيّة برثاء آل البيت عليهم السلام وقد صوّروا عظمتهم ومكانتهم فی القلوب.

فهذا الغرض العشری مازال متدفّقاً حتّی عصرنا الراهن فهناک شعراء قد نظموا قصائد فی رثاء أهل البيت عليهم السلام منهم شعراء لبنان وهم علی دين *المسيح(ع)*، فانجذبوا إلی أهل البيت(ع) وطريقتهم ونظموا القصائد فی رثاءهم.

إنّ الهدف المتوخّی من هذا المقال هو دراسة مراثی أهل البيت عليهم السلام التی نظمها شعراء لبنان المعاصرين ونسعی فی هذا المجال أن نقدّم ميزات المراثی التی اعتنی بها الشعر المعاصر فی نظمها، والمواضيع التی اهتمّ بها الشاعر فی رثاء أهل البيت عليهم السلام منها: اظهار الحزن والألم من استشهاد أهل البيت عليهم السلام، ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام وعظمتهم، وصف المصائب والمحن التی واجهها أهل البيت(ع) ودور أهل البيت عليهم فی تعزيز دين الإسلام وإحيائه وسنصل إلی هذه الأهداف من خلال الدراسة التحليلية والوصفيّة لقصائد هؤلاء الشعراء.

نسعی فی هذا البحث الإجابة علی هذه الأسئلة:

ما هی المواضيع التی اعتنی بها الشعراء فی رثائهم لأهل البيت عليهم السلام؟

ما هی الأسباب التی دعت شعراء لبنان المعاصرين إلی رثاء أهل البيت عليهم السلام؟

وما هی ميزات مراثی شعراء لبنان المعاصرين فی آل البيت عليهم السلام؟

وأمّا حول خلفيّة البحث فهناک بعض الدراسات تناولت موضوع أهل البيت(ع) فی شعر لبنان المعاصر، منها: رسالة تحت عنوان «بررسی زندگی جورج شكور وملحمة الإمام علی(ع)» *لرضا محمدی ماوی* من جامعة آزاد طهران، ورسالة جامعية تحت عنوان «تجلی غدير خم در شعر معاصر لبنان»، للطالبة *افسانه نورمحمدی* من جامعة قم، ورسالة تحت عنوان «بررسی سيمای امام علی(ع) در شعر شاعران مسيحی معاصر لبنان» للكاتبة *زينت شريفان* من جامعة تربيت معلم سبزوار، ومن المقالات يجدر الإشارة إلی مقالة

«الإمام علی(ع) فی الشعر المسیحی المعاصر» للکاتب *تورج زینی‌وند*، ومقالة «امام علی(ع) و نهج البلاغه از نگاه ریمون قسیس شاعر مسیحی معاصر لبنانی» للکاتبة *زهرا أفضلی*، ومقالة «ولادت حضرت علی(ع) در خانه کعبه از دیدگاه اندیشمندان و شاعران مسیحی عرب در دوران معاصر» للکاتبة مریم *حکمت‌نیا* والکاتب *جعفر دلشاد*، ومقالة «رثاء الإمام الحسین(ع) فی ملحمة عید الغدیر»، للکاتبین *علی پیرانی شال* وحسین *روستایی*.

رثاء اهل بیت(ع) فی شعر شعراء لبنان

إنّ دراسة شعر شعراء لبنان المعاصرین، تبین لنا أن أدب هذا القطر العربی قد شاهد تطوراً ملحوظاً فی العصور المختلفة، إنّ أدب لبنان قد تأثرت فیه الظروف السیاسیة والاجتماعیة حیث نری أنّ الأدب أصبح وسیلة لتحسین هذه الظروف فی عصرنا. وإذن نری الأدب جاء ملتزماً فی خدمة شعر المقاومة والدفاع عن الإیمان والعقیدة. والشعراء من مذاهب وأدیان مختلفة کالمسیحیّة وغیرها قاموا بالدّفاع عن وطنهم وعقیدتهم وإیمانهم، واتخذوا عظماء الدین أسوة لأنفسهم، فجاء شعرهم شعراً ملتزماً، فأهل البیت علیهم السلام هم أسوة الدفاع عن الدین، والعقیدة، والإیمان، فبهذه الأسباب نری شعراء لبنان انجذبوا إلی أهل البیت علیهم السلام.

أما القصائد التی نظمت فی رثاء *الإمام الحسین(ع)* فهی أکثر ظهوراً فی شعر شعراء لبنان. فإنّ شعراء لبنان علی دین *المسیح* قد نظموا قصائداً فی رثاء *الإمام الحسین(ع)* حیث جعلوا العلاقة بین دین الإسلام ودین *المسیح* فإنّ *الحسین(ع)* وشخصیّته العظیمة قد دخلت فی إطار الأدب العالمی بأکمله. وفی الحقیقة إنّ *الإمام(ع)* لا یختصّ بمذهب خاص، ولا یتعلّق بدین واحد، فإنّ عظمة *الحسین(ع)* بعظم البشریة. ومن جهة أخری إنّ الاستشهاد من أجل العقیدة والإیمان، قد جعل مدلولاً مشترکاً بین شعراء لبنان المسیحیین والمسلمین حیث أصبح *الإمام الحسین(ع)* الحوار المشترک بین الإسلام ودین *المسیح*.

ولم یکتف شعراء لبنان فی رثاء *الإمام الحسین(ع)* ویوم عاشوراء بوصف الأحداث والمصائب التی شهدها آل الرسول(ص) فی واقعة الطف، بل جعلوا علاقة بین الماضی

والحاضر لمعالجة مأساتهم فی عصر الراهن وما یعانی الشعب من ظلم واضطهاد، وأن یذکروا *الحسین(ع)* وتضحیته فی سبیل إرساء العقیدة والدین وأن یجعلوا منه أسوة لبعث الشعوب من جدید ومقاومة الظلم والوقوف فی وجه الطغاة. فلهذا یصبح *الحسین(ع)* أسوة المقاومة والاستشهاد فی شعر شعراء لبنان المعاصرین.

وقد تطرّق الشعراء فی رثاءهم لآل البیت علیهم السلام إلی مواضیع مختلفة منها التعبیر عن الحزن، وذکر فضائل آل البیت علیهم السلام ومناقبهم، ووصف المصائب والمحن التی حلّت بهم، ودور أهل البیت علیهم السلام فی إحیاء دین الإسلام.

التعبیر عن الحزن فی رثاء أهل البیت(ع)

فی جمیع قصائد الرثاء یبدأ الشاعر رثائه بالبکاء ویصوّر الحزن والألم الذی حلّ به إثر فاجعة فقدان الأحبّة والأصدقاء والأقرباء و... وهذه أوّل مرحلة من الرثاء التی تسمّی "الندب". فی هذا المقطع من قصیدة الرثاء، یسعی الشاعر أن یعبّر عن شعوره وعواطفه تجاه الحبیب الذی فارقه ورحل وأن یصف المعاناة التی یتحمّلها بسبب هذا الفقدان ویسعی أن ینقل هذا الشعور والعاطفة إلی المتلقی عبر الأحاسیس التی تحملها مفردات الشعر فیختار الشاعر أدقّ المعانی والصوّر التی تثیر انتباه الشاعر وشعوره وعواطفه کأنّ المتلقی هو الذی أصاب بهذا الفقدان المفجئ.

ولا تستثنی المراثی التی نظمت فی رثاء أهل البیت(ع) إذ نری هذه المراثی کغیرها تبدأ بالندب والتعبیر عن الحزن والأسی فی استشهاد أهل البیت علیهم السلام ولکن الشاعر یمزج رثائه بالقداسة التی یمتلکها المرثی له فیختار المعانی والصور الأدبیّة التی تدلّ علی عظمة آل البیت علیهم السلام.

فیسعی الشاعر أن یتکلّم عن هذا الشعور بالحزن والألم وأن یعبر عنه بالعواطف الصادقة، فلاستشهاد أهل البیت علیهم السلامة مکانة عظیمة فی مراثی شعراء لبنان. *جوزیف الهاشم* من أدباء وعلماء ورجال السیاسة فی عصرنا الراهن له قصیدة رثاء فی حقّ *الإمام علی(ع)*. فیعتقد الشاعر فی أبیات من هذه القصیدة أنّ الأمّة الإسلامیّة بل البشریّة قد خسرت خسراناً عظیماً باستشهاد *أمیر المؤمنین(ع)*، فیقول:

یا ابن مُلجِمَ إنَّ سَیفَکَ خاسِئٌ السَّیفُ زَیفٌ والرَّدَی أوهَامُ

ظَفَـرَ العَلِـيُّ وفـازَ يَـومَ سُقُوطِـهِ وَسَمَـــا وَرَبُّ الكَعبَـــةِ العَـــلاّمُ
أمَّ الصَّـــلاَةَ مُضَـــرَّجاً بِـــدَمِ التُّقَـى وَكأَنَّمـــا الجُـــرحُ المُمِـــيتُ وِسـامُ
وكأنَّ أهلَ البَيتِ، ما اشتاقُوا سِوَى دَربِ الشَّـــهادَةِ، وَالجِـــهَادُ مَـــرَامُ

(الهاشم، ١٤٢٠: ١٨)

يشير الشاعر فى هذه الأبيات إلى تلك العبارة التى قالها *الإمام على(ع)* فى أثناء صلاة الصبح عندما ضربه *ابن ملجم المرادى* فى أمّ رأسه، فقال(ع): «فزتُ ورَبِّ الكَعبة» وتشير هذه العبارة إلى غربة *الإمام(ع)* واشتياقه إلى الإستشهاد، وهذه هى الطريقة التى اتّبعها أئمّة الأطهار عليهم السلام فى حياتهم، طريقة الاستشهاد ونشر راية القران والإسلام.

لم يكن استشهاد *الإمام على(ع)* حادثة مفجعة فحسب، بل هو رمز الصمود وتضحية النفس من أجل العقيدة والإيمان وهو رمز لكلّ انسان حرّ ولكلّ من أراد أن يدافع عن عقيدته وأن يقف صامداً فى وجه الظالمين. فيقول الشاعر:

هَل يَنطَوِى دِينٌ وَأنتَ شَـهِيدُهُ وَلَهُ بِشَـمخةِ مَنكَبَيـكَ دِعـامُ

(همان: ٢٥)

و*لبولس سلامة* من شعراء لبنان قصيدة تحت عنوان «ملحمة عيد الغدير»، فالشاعر فى هذه القصيدة يتكلّم بعاطفة صادقة عن استشهاد *الإمام على(ع)* ويذرف الدمع فى رثائه ويعتقد أنّ *الإمام(ع)* هو النور الذى انطفأ من قبل أن يصل أوانه؛ فيقول:

هـات يـا شعـرُ أدمعـاً لرثـائه غـاب ضـوءُ النهـار قبـل انقضـائه
و اذكـر النسـرَ عاليـاً لـم يُدنّـس فالأثـير الطهـورُ فـى أجوائـه

(سلامة، ١٤٢٣ق:١٨٣-١٨٧)

فالشاعر فى هذه الأبيات يتكّلم عن عظمة *الإمام(ع)* ويشبّه *الإمام على(ع)* بالنسر فى علوّ شأنه وشجاعته ويعتقد أن مكانة الإمام عليه السلام أعلى من العيوق فى السماء، ونور هدايته لا يمسّه الغبار، وهو سيبقى حيّا على مدى العصور.

أما الشاعر *جوزيف الحرب* فى قصيدة تحت عنوان «بكائية رأس الحسين» يرثى *الإمام الحسين(ع)* وأصحابه، ويصوّر ذلك المشهد الذى دخلت رؤس شهداء كربلاء فى بلاط *يزيد بن معاوية*، ويشبّه رؤوس الشهداء على الرماح بالمنارات التى تدخل بعضها تلو الآخر، فيقول:

ثلاث وسبعون رأساً
ورأس الحسين طليعتها
منارةٌ خلفها منائر
دخلت البلاط اليزيدی على سن ثلاثة وسبعين رمحاً...
فهل لشمس بعد أن تشرق ؟!
ولفرات بعدُ أن ينساب !
ولريح بعدُ أن تهب !
ولطائر بعد أن يسحب جناحيه !
ولنبت بعد أن يُمرع !
ولقضاء بعد أن يعدل !
ولحكم بعد أن يستوی !
ولدين بعد أن يشيع !
ولسلام بعد أن يسود

(العاملی، ۱۴۲۲ق: ۴۷)

إنّ الشاعر فی هذا النصّ الشعری يـری أن الحـزن يسـری فـی جميـع العـالم بسـبب استشهاد *الإمام الحسين(ع)*، فالشمس لا تشرق من بعده، والفرات لا يجری والريح لا تهب والطائر لن يحلق فی السماء، والزرع لا ينمو و... فالشاعر يقيم العزاء فی كلّ أركان العالم.

ذكر فضائل أهل البيت(ع)

إنّ الشاعر فی رثائه يذكر محاسن الميّت، وفضـائله وحسـبه ونسـبه وهـذا مـا يسـمّی التأبين، وليس التأبين نواحاً ولا نشيجاً، بل هو أدنی إلی الثناء منه إلی الحزن الخـالص، إذ يخِرّ نجم لامع من سماء المجتمع، فيُشـيد بـه الشـعراء منـوّهين بمنـزلته السياسـية أو العلمية أو الأدبية، وكأنّهم يريدون أن يصوّروا خسارة الناس فيه. ومن هنا كان التأبين ضباً من التعاطف والتعاون الاجتماعی، فالشاعر فيه لا يعبر عن حزنه هو وإنما يعبر عـن حـزن الجماعة وما فقدته فی هذا الفرد المهمّ من أفرادها، ولذلک يسجل فضائله ويلـحّ فـی هـذا التسجيل وكأنّـه يريـد أن يحفرهـا فـی ذاكـرة التـاريخ حفـراً حتّـی لا تُنسَـی علـی مـرّ

الزمن(ضيف، ١٩٦٠: ۶). إنّ شعراء لبنان المعاصرين أيضاً فی رثائهم لأهل البيت عليهم السلام، ذكروا فضائلهم ومحاسنهم، وقد وصفوا هذه الفضائل فی أشعارهم، إنّ أهمّ الفضائل والمحاسن التی قام الشاعر لبنان المعاصر بذكرها ووصفها هی ذكر حسب ونسب أهل البيت(ع)، ذكر الصفات الأخلاقية، الإيمان والعقيدة، الشجاعة، الجود والكرم، الصبر والصمود فی سبيل الإيمان و... .

إنّ الشاعر المعاصر *بولس سلامة* يذكر *الإمام علی(ع)* فی شعره بألقاب مختلفة كـ«سدرة المنتهی فی الكمال الإنسانی»، و«علیٌّ العصور»(سلامة، ١۴٢۵: ٢٧٧)، وهو يتكلّم عن عظمة *الإمام(ع)* وفضائله ويعتقد أن الله سبحانه وتعالی خلق الإمام(ع) لمناصرة أفضل أنبيائه. و*الإمام علی(ع)* هو نور الهداية الذی يهدی به الضالّون، يقول:

هاشِميٌّ صافِی الفِرَندِ، بَراهُ ... اللهُ نَصراً لِمُصطَفی أنبيائهِ
فی خِضَمٍّ مِنَ الضِّياءِ رَحِيبٍ ... صَبَّ فِيهِ الإلهُ فَيضَ بَهائِهِ
يا عَلِيَّ العُصُورِ ذِكرُكَ نُورٌ ... وَهُدَیً لِلنّفوسِ إن ضلَّ تائهِ

(مؤسسة الحكمة، ٢٠٠٩: ٢۶١)

والشاعر المسيحی المعاصر *جوزيف الهاشم* الذی يعدّ من أبرز شعراء النصرانيّة فی الأدب المعاصر، له ديوان شعر تحت عنوان «علويات، قصايد من وحی الإمام» يثبت فيه ولاءه الحاسم والصادق *لعلی(ع)* وآل البيت عليهم السلام.

ويعتقد أن *الإمام علی(ع)* فی أعلی ذروة الصفات الإنسانية فلم يكن هناک من يعتلی *الإمام(ع)* سوی الله ونبيه *محمّد(ص)* فی قصيدة تحت عنوان «أهل البيت» يخاطب *الامام حسين(ع)* ويقول:

يَا ابْنَ العَلِیّ، وَمَنْ يَعْلُو العَلِیَّ سِوَی
وَأحْمَدٍ فی دُنَی الإسْلامِ، قدْ خَتَمَتْ ... إثنَيْنِ رَبِّک فَوْقَ الرُّسُلِ كلِّهِمِ
بِهِ النُّبُوَّةَ، كفُّ الحَاكمِ الحَكمِ

(الهاشم: ۵٨)

وفی موضع آخر يتكلّم الشاعر عن نَسَب *الامام علی بن أبيطالب عليه السلام* ويمدحه، ويذكر بعض صفاته كمولود الكعبة، ويعتقد أن ليس هناک لا فی قديم الزمن ولا فی المستقبل، من يستطع أن يصل إلی هذه المكانة أن يكون وليد الكعبة، فيقول:

نِعمَ العَلِیُّ وَنِعمَ الإسمُ وَاللَّقَبُ یا من بِهِ یَشرَئِبُّ الأصلُ والنَّسَبُ

(الهاشم، ۱۹۹۹: ۳۱)

وللشاعر المسیحی المعاصر *ریمون قسّیس* قصیدة طویلة فی رثاء *الإمام الحسین(ع)*، هذه القصیدة المعنونة «ملحمة الحسین» تقع فی ۱۱۴ بیتاً؛ إنّ الشاعر فی هذه القصیدة الطویلة مع توظیفه لأغراض الشعریة المختلفة کالمدح والصور الأدبیة المتنوعة یذکر مقاطع من ثورة *الإمام الحسین(ع)*، کما یذکر أسماء الأشخاص والأماکن التاریخیّة فی واقعة کربلاء، أما من أبرز میزات هذه القصیدة أنّ الشاعر قد ذکر فیها شهداء النصرانیّة فی واقعة الطف، *کوهب النصرانی* و سفیر روم فی بلاط *یزید*، ونری من هذا الخلال أنّ الشاعر قد جعل العلاقة والربط بین دین الإسلام ودین *المسیح*. وأیضاً قد أشار الشاعر فی أبیات من هذه القصیدة إلی رأس *الحسین(ع)* ورأس *یحیی النبی(ع)*.

فیذکر الشاعر فی هذه القصیدة إلی فضائل الإمام(ع) ویعتقد أنّ *الحسین علیه السلام* وجهٌ رسولیّ، وهو سبط النّبی الأعظم(ص) یحمل رسالته النبویّة لجمیع البشر، یقول الشاعر المسیحیّ المعاصر *ریمون قسّیس*:

یَا حَفِیدَ النَّبیِّ قَدْ جِئْتَ تُعْلِی
هُوَ مِنِّی - قَدْ قَالَها – أَنَا مِنْهُ
هُوَ سِبْطٌ مُطَهَّرٌ کَعَلِیٍّ
رایَةً تُرْتَجَی لِعُرْبٍ وفُرْسِ
وَ«حُسَیْناً» سَمَّوهُ مِنْ غَیْرِ لُبْسِ
هاشِمیٌّ وَأَمْرُهُ لا لِرِجْسِ

(قسّیس، ۲۰۱۱م: ۲۴و۲۵)

یشیر الشاعر فی هذه الأبیات إلی الحدیث النبوی القائل فی حقّ *الحسین علیه السلام*: «حسینٌ منّی وأنا مِنَ حُسَین» الذی یدلّ علی شأن الإمام ومنزلته عند النبی(ص)، *والحسین(ع)* هو سبط النبی(ص) وهو من بیوتٍ أذن الله أن ترفع، فی بیت النبوّة الذی نزلت فی حقّهم أیة التطهیر. ویواصل الشاعر *ریمون قسّیس* أشعاره بذکر فضائل *الإمام الحسین علیه السلام* فی قصیدته «ملحمة الحسین»، فالإمام(ع) لا بدیل له فی الشجاعة

والجود، وهو ينبوع ومصدر الفطنة والكياسة معاً؛ وليس هناک من يسامی الإمام فی هذه الخصال؛ فيقول:

جُرْأةٌ فی شُجَاعَةٍ، جُودُ كَفٍّ لا يُجَارَی، وَنَبْعُ فَهْمٍ وَنَدْسِ

(قسّيس، ٢٠١١م: ٢٩)

و*الحسين عليه السلام* هو أبو الأئمّة الأطهار(ع) الذی يُهتدی به كما يُهتدی بالفَرقَد بدون ذهاب ضوء أو إمحاء نور، فيقول الشاعر *ريمون قسّيس*:

وَ«حُسَينٌ» أبُو الأئِمَّةِ يَمشِی فی الوَرَی فَرقَداً بِلا أیِّ طَمسِ

(همان:٣٣)

وصف مصائب أهل البيت(ع)

من القضايا التی يعتنی بها الشاعر أثناء رثائه لكبار الشخصيات، هو ذكر المصائب والمحن والآلام التی شهدها وواجهها الشخص المرثی له فی حياته، ليخفّف الشاعر بهذا عن أحزانه وآلامه ويجعل رثائه أكثر تأثيراً فی المتلقی وإضافة إلی هذا، ليشرح للمتلقی مقاطع من واقع حياة المتوفّی فی الماضی ليتعرّف عليه ويتأثّر من فقدانه.

أمّا أهل البيت عليهم السلام قد شهدوا فی حياتهم كثيراً من المصائب والمحن، ولكنّهم تحمّلوا هذه المصائب مرضاةً لوجه الله ليقيموا دين الحقّ ويثبتوا العقيدة إلی أن استشهدوا فی هذا السبيل.

فمن المصائب والمحن التی شهدها أهل البيت عليهم السلام فی حياتهم وقد غيّرت هذه الحادثة مسار التاريخ بأكمله هی قضيّة السقيفة ووصاية *أمير المؤمنين(ع)*، فيوم السقيفة فی تاريخ الإسلام هو اليوم الذی تبدأ فيه مصائب ومحن أهل البيت عليهم السلام، لأنّ حقّ الولاية والإمامة علی المسلمين قد اغتصب من *أمير المؤمنين* وأبنائه وقد كان أمراً إلهيّاً وقد نزلت فی هذا الشأن آية تعرف بآية إكمال الدين، قال الله تعالی: ﴿اليومَ أكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتی وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً﴾(المائدة/ ٣). وقد أبلغ النبی(ص) هذه الآية للنّاس فی يوم الثامن عشر من شهر ذی الحجة السنة العاشرة من الهجرة فی غدير خم. ولكنّ الناس قد جهلوا هذه القضيّة ونكروها. إنّ الشاعر المسيحی اللبنانی يرثی اهل البيت عليهم السلام ويشير إلی هذه القضيّة ويعتقد أنّ يوم السقيفة هو

الیوم الذی نکست فیه أعلام الإسلام وجهزت جیوش الکفر لصدّ دین الحقّ، وما کان هذا الأمر إلاّ غرائز وهوی النفس الذی اتّبعه قوم ضالّون، فیقول:

لَولاک، یا یَومَ «السَّقِیفَةِ» ما التوَت تِلکَ الصُّفُوفُ، ونُکّسَت أعلامُ
ضَلَّت بِأحلامِ النُّفُوسِ غَرائِزٌ فَطَغَی الهَوَی، وَاختَلَّتِ الأحکامُ

(الهاشم، ۱۴۲۰ق: ۱۹)

لا شکّ ولا ریب أنّ واقعة الطفّ هی من أفجع الأحداث فی تاریخ البشریة، والمصائب والمحن التی شهدها آل البیت(ع) فی هذه الواقعة لا توصف مهما مرّت الأزمنة ودارت الأیّام فلیس هناک من یستطیع أن یصفها کما کانت هی فی واقعها. وقد وصفها الشعراء فی العصور المختلفة ورثی لمصائبها وفی العصر الراهن نری رثاء هذه الواقعة علی لسان شعراء النصرانیة من لبنان وهذا الرثاء یعتبر من أصدق الرثاء لأنّه یعبّر عن عاطفة صادقة رسمتها ریشة هؤلاء الشعراء.

إنّ الشاعر ریمون قسّیس فی مقاطع من قصیدته ملحمة *الحسین(ع)* یذکر العقیلة *زینب سلام الله علیها* بحماس ولهفة، وبالاستعانة ببعض القصائد المنسوبة إلی سیدة کربلاء البطلة والتی تعبر عن لسان حالها، یقول فی الأبیات ۸۲-۸۵ من قصیدته:

زینبٌ أنتِ أختُه خیرَ أختٍ لطمت وجهَها وصاحَت: لتَعسی
عندما شاهدَته رأسَ حسینٍ أنشدَت شعرَها تُشیر بخَمس

(قسیس، ۲۰۱۱م: ۳۷)

وأمّا الشاعر اللبنانی المعاصر *جوزیف الحرب* یرسم تلک المحن والمصائب التی حلّت بآل الرسول(ص) ویتفجّع لمشاهد منها. فهو یرسم فی أشعاره مشهد استشهاد الطفل الصغیر الذی استشهد وقد حمله الإمام(ع) علی یده. ویعتبر هذا المشهد من أفجع وأبشع مشاهد واقعة کربلاء والذی لن ینمحی من ضمائر البشریّة، عندما طلب الإمام(ع) شربة من الماء لطفله الصغیر، ولکن جیش الأعداء قد رمی الطفل بسهم فی عنقه بدلاً من الماء؛ فیقول:

أراک لا تنسینَ یا کربلاء کیف صاح به أحد الجند
خذ.. اسقه
وأوتر القوس ورمی الطفل بسهم اختلجت علیه أحشاؤه!

فهبينى كربلاء أرح رأس طفل الحسين على يدىّ
هبينى ذؤابتيه المرسلتين
وخلاخيل قدميه
ومِشملته
وقميصه المشقوق
والعقد والعود والبكاء الذى ما ترسّل من بين أجفانه
مخافة أن يتملح فمه إذا لامست قطراتُ دمعه شفتيه

(العاملى، ١۴٢٢ق: ۴٢)

دور أهل البيت(ع) فى إحياء دين الإسلام

لا شک أنّ أهل البيت(ع) قدّموا حياتهم من أجل تثبيت الدين والعقيدة وقد جاهدوا فى هذا السبيل إلى درجة الإستشهاد وتحمّلوا المشاق والتعذيب من قبل السلطات الظالمة آنذاک. فأهل البيت عليهم السلام هم معدن الرسالة ومفسّروا الوحى من بعد النبى(ص) وقد كرّسوا حياتهم من أجل إحياء الدين المحمدى(ص) وقد واجهوا فى هذا السبيل الكثير من المعاناة فبهذا نرى الشاعر الملتزم فى رثائه لآل بيت الرسول(ص) يشير إلى دورهم ومنهجهم ومجاهداتهم فى إحياء الدّين. فنرى الشاعر المسيحى المعاصر *جوزيف الهاشم* يتطرّق إلى دور أهل البيت(ع) فى إحياء دين الإسلام ويعتقد لولا *علىّ(ع)* لما ارتفعت رايات الدين التى تدعو إلى الحقيقة والإيمان، ولم تكن هناک مساجد ليعلى اسم الله فيها، وبهذا يشير الشاعر إلى دور *الإمام على(ع)* الحاسم فى تعزيز الدين؛ فيقول:

سَيفُ الجِهادِ، فَتىً، لولاهُ ما خَفَقَت لِدَعـــوَةِ اللهِ، رَايـــاتٌ وَلاقُبَـــبُ

(الهاشم، ١٩٩٩: ٣۴)

قد أراد *الحسين عليه السلام* من إستشهاده فى معركة كربلاء الذى كان من لدن الخالق، أن يترک للأجيال والأمم جمعاء أن تنغم بضراوة النضال وقداسة المواقف وغنائم الشهادة ليثبت بها دين الله. فيقول *ريمون قسّيس*:

وَلَقَـدْ عِشْـتَ لِلرِّمَـاحِ العَـوَالِى فـى سَـبِيلِ الإلـهِ يُفْـدِى بِـنَفْسِ

(قسّيس:٢۴)

إنّ استشهاد *الإمام الحسین(ع)* فی واقعة الطف هو رمز التضحیة من أجل الدین والعقیدة، والشاعر المسیحی المعاصر *ریمون قسّیس* مع وصفه لمواقف واقعة عاشوراء واستشهاد الإمام(ع)، یصوّر مدّی دور *الإمام الحسین(ع)* فی إحیاء دین الله، فاستشهاده لم یکن إلاّ دعوة من الله وقد لبّاه الإمام(ع) من غیر أن یوجس فی نفسه خیفةً، فهو یقول:

قَتْلُ نَفْسٍ مِنْ أجْلِ رَبٍّ قَدِیرٍ هُوَ أمْرٌ مِنْ غَیْرِ خَوْفٍ وَهَجْسِ

(همان: ۲۶)

وفی هذا المجال یصف *جوزیف الهاشم* ثورة *الحسین(ع)* ویعتقد أنّ هذه الثورة قد حقّقها الإمام(ع) من أجل إرساء الدین والعقیدة، ولولا هذه الثورة لما احتفظ دین الله، ولم یتحقّق سر خلق وابتداع العالم والکون لولا هذه الثورة؛ فیقول:

لَولاکم، لما ارتَقَت للهِ ألوِیَةٌ
إن یَغدُرِ السَّیفُ، وَالإسلامُ مُنتَصِرٌ
تَبکیکَ ثَورَةُ عاشُوراءَ فی طَرَبٍ وَخابَ سِرَّ ابتِدَاعِ الکونِ بِالنَّدَم
فَالثَّغرُ یَفتَرُّ عِندَ الحُزنِ وَالأَلَمِ
وَالدَّمعُ یَنسابُ رَقراقاً مَعَ النَّغَمِ

(الهاشم: ۶۵)

یشیر الشاعر فی هذه الأبیات إلی انتصار الدم علی السیوف، وهو انتصار حقیقی کما یعتقد أنّ شهداء کربلاء قد انتصروا بدمائهم فی نهایة المطاف علی أعداء الإسلام. وقد مزج الشاعر بین البکاء والطرب وبین الدمع والنغم وهذه من المحسنات البدیعیة والصور الأدبیّة التی منحت لهذا البیت جمالاً، ویصوّر الشاعر من خلال هذه المفارقة أنّ ثورة عاشوراء قد انتصرت وإن کانت هناک مصائب ومحن قد شهدها آل بیت رسول الله(ص).

نتیجة البحث

نستخلص من هذه الدراسة التی تناولت رثاء أهل البیت(ع) فی الشعر شعراء لبنان المعاصرین إلی هذه النتائج؛ إنّ أهل البیت(ع) هم أسوة الإیمان والعقیدة، لأنّ حبّهم هو حبّ الإیمان والکمال والحریّة والشجاعة والعدالة والشهادة والقیم الإنسانیة السامیة، فلیس عجیباً أن یشترک المسلمون وغیر المسلمین فی هذا الحبّ المعنوی.

قد تأثّر شعراء لبنان المعاصرين من عظمة أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، وقد نظموا الكثير من القصائد فی رثائهم وقد تكلّموا فيها عن عظمة أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم.

قد اهتمّ الشعراء فی العصور المختلفة برثاء آل البيت عليهم السلام، وفی العصر الراهن أيضاً نرى قصائد كثيرة فی رثاء أهل البيت عليهم ونشاهد أصدق هذه القصائد على لسان شعراء لبنان المسيحيين. قد اهتمّ شعراء لبنان المعاصرين بعقيدة صادقة فی رثاء أهل البيت(ع)، وقد عبّروا فی قصائدهم عن حزنهم وآلامهم من استشهاد أهل البيت(ع)، وذكروا عظمتهم وفضائلهم، وقاموا بوصف المصائب والمحن التی قد حلّت بآل البطت عليهم السلام وقاموا بتبيين دورهم فی إحياء دين الإسلام.

المصادر والمراجع

ابن فارس، أحمد. ۱۹۷۹م، **معجم مقاییس اللغة**، تحقیق عبدالسلام هارون، لا مک: دار الفکر للطباعة والنشر.

ابن منظور، جمال الدین بن محمد. ۱۹۹۷م، **لسان العرب**، بیروت: دار صادر.

الجمحی، ابن سلاّم. ۱۹۷۴م، **طبقات فحول الشعراء**، شرح محمود شاکر، القاهرة: مطبعة المدنی.

الجوهری، اسماعیل بن حماد. لا تا، **تاج اللغة وصحاح العربیة**، تحقیق أحمد عبدالغفور عطار، بیروت: دار العلم للملایین.

الخطیب، بشری محمد علی. ۱۹۷۷م، **الرثاء فی الشعر الجاهلی وصدر الإسلام**، بغداد: مدیریة مطبعة الإدارة المحلیّة.

زمخشری، جار الله محمود. ۱۹۷۹م، **أساس البلاغة**، تحقیق عبدالرحیم محمود، بیروت: دار المعرفة.

سلامة، بولس. ۱۴۲۳ق، **عید الغدیر**، قم: مطبعة أفق.

ضیف، شوقی. ۱۹۶۰م، **تاریخ الأدب العربی العصر الجاهلی**، ط۴، القاهرة: دار المعارف.

ضیف، شوقی. ۱۹۸۸م، **فنون الأدب العربی**، الرثاء، ط۴، القاهرة: دار المعارف.

عبّود، مارون. ۱۹۶۰م، **أدب العرب**، بیروت: دار الثقافة.

قدامة بن جعفر. ۱۳۰۲ق، **نقد الشعر**، قسطنطینیة: مطبعة الجوانب.

القیروانی، أبو الحسن ابن رشیق. ۱۹۷۲م، **العمدة**، ط۴، بیروت: دار الجیل.

النعمة، مقبول علی بشیر. ۱۹۹۷م، **المراثی الشعریة فی عصر صدر الإسلام**، بیروت: دار صادر.

هیفا، راجی أنور. ۲۰۰۵م، **الإمام علی علیه السلام فی الفکر المسیحی المعاصر**، لبنان: دار العلوم.